مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2022 المجلد: 05 العدد: 01 ص.ص: 216-235

عنوان المقال: جبهات النضال الوطني للشيخ إبراهيم بن عمر بيوض

جبهات النضال الوطني للشيخ إبراهيم بن عمر بيوض

National Revolution Fronts of Cheikh Ibrahim Ben Omar Bayoud

طاعة مصطفى[1*]، جامعة غرداية، (الجزائر)، taa.mustapha@univ-ghardaia.dz

سعيود إبراهيم[2]، جامعة الجزائر 2، (الجزائر)، Brasayoud60@yahoo.fr

المخبر: الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة

تاريخ إرسال المقال: 09-01-2022 .تاريخ قبول المقال: 26-03-2022

ملخص: يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على نشاط الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض وجهوده الإصلاحية والسياسية المحلية والوطنية، التي مست كل مناحي الحياة، مستخلصين سمات الشمولية والتنوع في فكر الشيخ لكونه رائدا من رواد الوطنية الصادقة في وادي مزاب والجزائر، تميز نشاطه بتعدد الجوانب والعمل على الكثير من الجهات انطلاقا من الفرد وصولا إلى المجتمع مركزا على العربية لفهم الدين فهما صحيحا، وبالتالي تصبح الأمة قادرة على مقاومة الاستعمار ورفض القهر والذل، فراح يحارب البدع والخرافات ويقف في وجه الجمود الفكري والتخلف، وقد وطد الروابط مع جمعية العلماء فكان منهجه الإصلاحي واضحا في هذا الاتجاه وهو التعاون لإحياء اللغة العربية وتربية النشء تربية إسلامية من خلال إشرافه على الكثير من الهيئات الدينية والسياسية هدفه في ذلك الدفاع عن القضايا الوطنية والإسلامية.

الكلمات المفتاحية: معهد الحياة، مجلس العزابة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فصل الصحراء.

Abstract: This article aims to shed light on the activity of Sheikh Ibrahim ben Omar Bayoud and his local and national reform efforts, which in turn have touched all aspects of life, extracting the traits of inclusiveness and diversity in the reformist approach of the sheikh and thought to be a pioneer of sincere patriotism in Oued Mzab and Algeria, its activity was characterized by the multiplicity of aspects and work from many sides of the individual to the community, focusing on Arabic to properly understand religion, and thus the nation becomes able to resist colonialism and reject the oppression and humiliation, then he struggles against heresies and myths and is faced with intellectual rigidity and delay through his courses at the mosque and the institute, he established links with the Association of Fellows, so his reformist approach was clear in this sense, which is a cooperation to revive the Arabic language and Islamic education for young people through his supervision of many religious organizations and policies whose aim is to defend its national and Islamic problems.

Keywords: Institute of Life, Council of Aezzabh, Association of Algerian Muslim Scholars, The desert separation .

[1] طاعة مصطفى.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2022 المجلد: 05 العدد: 01 ص.ص: 216-235

عنوان المقال: جبهات النضال الوطني للشيخ إبراهيم بن عمر بيوض

مقدمة:

تعد الحركة الإصلاحية والسياسية في الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي مرحلة حاسمة في تاريخ النضال الجزائري ضد العدو الغاشم والباحث لا يجد بدا من إلقاء نظرة شاملة على هذا الموضوع الهام وإزالة الغبار عن مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر، ولهذا لابد أن لا تقتصر الدراسة والبحث في منطقة الشمال وتتجاوزه إلى أقاليم الجنوب، لأنه يعد فصلا مكملا لفصول النضال الإصلاحي والسياسي، خاصة وأن هذا الجزء من القطر الجزائري انبعثت منه بوادر الإصلاح والتجديد، منها منطقة وادي مزاب في الجنوب والتي طالتها أيدي المستعمر الفرنسي، فبادرت نخبة من المفكرين والمثقفين والأعلام إلى إصلاح كل ما أفسده المستعمر الظالم، فهؤلاء أخذوا على عاتقهم مهمة توطيد أركان الأمة دينيا وعلميا والدفاع عن القضايا الوطنية بصدق، فاهتموا بالسياسة وقاموا بإنشاء دور العلم والتربية هدفهم من ذلك الوقوف في وجه محاولات الفساد والإذابة واستهداف الهوية الوطنية ومحوها، من هؤلاء الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض كونه من رواد الإصلاح الدين والشخصيات الوطنية الصادقة خلال القرن العشرين لتعدد جوانب نشاطاته وتنوعها من الإرشاد والتوعية إلى الإصلاح والسياسة الداخلية والخارجية فشعوره بروح المسؤولية جعلته يتوكل على الله ويتحمل المسؤوليات الملقاة على عاتقه في سن مبكرة ويقود قاطرة الإصلاح في وادي مزاب التي أصبح من أقطابها نظرا لإسهاماته في النهوض بالتعليم والمجتمع، وخدمة الوطن والدفاع عن قضاياه المختلفة بفضل منهجه الإصلاحي والسياسي الذي أخذ أبعاد كثيرة وشاملة، الهدف منها تكوين مجتمع متسلح بالعلم والأخلاق، فكان مقصده وغايته الدفاع عن الوطن، فنجح إلى حد بعيد في الربط بين الأفكار والعمل الجاد من خلال الأنشطة التعلمية في معهده والاهتمام بأحوال المجتمع في المسجد ومجلس العزابة المتحكم في زمام الأمور في وادي مزاب، كما أنه واصل عمله السياسي لما أسّست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصبح من وأعلامها البارزين، ودخل الشيخ المجلس الجزائري وأتخذه منبر للدفاع عن قضايا وطنه والوقوف في وجه المؤامرات الماكرة رغم كل الإغراءات و التهديدات فكانت له مساهمة فعالة في الثورة المباركة، فقد أمضى الشيخ بيوض كل حياته في سبيل الإصلاح وجعل التربية قاعدة لحركته والمسجد ملتقى يحارب من خلاله البدع والخرافات والجمود الفكري حتى يُفهم الدين فهما صحيحا ويصبح المجتمع قادرا على الوقف في وجه الاستعمار، فحسب منهجه الإصلاحي فإن الجهل أزمة اجتماعية لها أثارها على كل مناحي الحياة.

الإشكالية:

- **فما هي أطر النضال الإصلاحي والسياسي عند الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض وما هي الجوانب التي شملها نشاطه على جميع الأصعدة؟**

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2022 المجلد: 05 العدد: 01 ص.ص: 216-235

عنوان المقال: جبهات النضال الوطني للشيخ إبراهيم بن عمر بيوض

- **مولده ونشأته:**

يعد الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض من أعلام الإصلاح في الجزائر حيث ينتسب إبراهيم بن عمر بن باية، بن إبراهيم بن حمو بن أحمد بن علي بن إسماعيل بن عيسى بن أعلاهم، ولقب بلقب أعلاهم باعتباره الجد الذي تفرعت عنه عشيرة "أولاد أعلاهم" والصحيح في النسب "بن علي"، وهو من أولاد بخت بن يعقوب، ولقب بيوض هو أول ما لقب به جده الثاني إبراهيم بن حمو وذلك لبياض وجهه وجماله كما يذكر فصار منه هذا اللقب إلى أبناء ذريته[1]ولد إبراهيم بن عمر بيوض يوم 11 ذي حجة 1313 الهجري الموافق لـ: 21 أفريل 1899 بمدينة القرارة[2]، والده هو السيد عمر بن باية بن براهيم بيوض ابن السيدة نانة بنت كاسي بن داود، أما أمه فهي عائشة بنت كاسي بن بهون. حفظ القرآن الكريم على يد شيخه الحاج بن يوسف بن بهون، ليتلقى بعدها العلم الشرعي عن حلقة إيروان[3]، وكان من أبرز شيوخه المصلح الحاج عيسى الإبريكي وعمر بن يحي وعبد الله بن إبراهيم وبكير بن إبراهيم[4].

لقد تعددت العوامل التي ساهمت في تكوين الشيخ بيوض وجعلته قادرا على تحمل المسؤولية، منها نبوغه وذكاؤه وحافظته القوية و فصاحة لسانه وشغفه بالمطالعة والأصالة في المبادئ والتفتح في الفكر والتجديد دون المساس بالأصول، نال حظوة شيخه الحاج عمر بن يحيى [5] فلازمه و كان يخدمه ويحضر جلسات أعيان البلدة عنده واستفاد من علمه مما أهله لينوب شيخه عند غيابه في تدريس البلاغة و المنطق، فكان الشيخ بيوض العالم المصلح عنوان الجدارة بحيث أخذ نشاطه أبعاد محلية ووطنية امتدت إلى الخارج، فلم يكن نشاط الشيخ مرتبطا بالميدان التعليمي بل تعداه إلى مجالات مختلفة وذلك بسبب ما حصل له من قناعة حول الأزمة التي يعيشها المجتمع الجزائري وإن كان جوهرها أزمة فكرية إلا أن أسبابها سياسية واقتصادية واجتماعية يجب أن يشملها حركة إصلاحية عامة هدفها المحافظة على الفرد من الانحراف

---

[1]– محمد على دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر (1921م–1975م)،ج1، عالم المعرفة، الجزائر،2013م، ص 91.

[2]– إبراهيم بن عمر بيوض، أعمالي في الثورة، نشر جمعية التراث،ط1، الجزائر،1990م، ص 13.

[3]– إيروان: هم حفاظ القرآن الكريم، ينظر: محمد صالح ناصر، مشياخي كما عرفتم، إخراج محمد جهلان، دار الريام، ط1، الجزائر،2008م، ص144.

[4]– إبراهيم بن ساسي، من أعلام الجنوب الجزائري، موجز للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2011م، ص ص22، 23.

[5]– الحاج عمر بن يحي: ولد في قصر القرارة سنة 1275هـ/1858م، حفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى دار التلاميذ فأخذ مبادئ العلوم وأكمل دراسته العليا عند قطب الأيمة، أسس مدرسة سنة 1314هـ/1896م، وكان له دور في تربية الناس وإصلاح ذات البين وصف بلقب "نور القلب" ويعتبر معهد الحياة امتدادا لمعهده، وكان له الإسهام في نظام الطبقات لدار التلاميذ "إيروان"، بعد وفاة شيخه القطب عمد إلى إرسال الطلاب إلى جامع الزيتونة، وله الكثير من التلاميذ أصبحوا فيما بعد رواد الحركة الإصلاحية، أنظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب الإسلامي، ج2، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية،ط1، الجزائر،1999م، ص313 وما بعدها.

الأخلاقي، وبالتالي تصبح الحركة الإصلاحية والسياسية قادرة على تعبئة المجتمع بجميع فئاته في عملية البناء، وحتى يتحول النضال من فكرة مجردة إلى واقع ملموس يجب تفعيله في الأبعاد التي حددها الشيخ بيوض فيصبح هذا النشاط قادر على تحقيق أهدافه الاجتماعية فكان تاريخ الشيخ العالم زاخرا بالمواقف البطولية على كل الجبهات هدفه من ذلك أن ينال وادي مزاب حظه من الحقوق ويحافظ على مميزاته في إطار الدين الإسلامي ومقومات المجتمع وهذا من مقاصد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي جعلت الجزائر وطنا والعربية لغة والإسلام دينا، فكانت هذه الأسس والمنطلق الجوهري لحركة الإصلاح والنضال السياسي التي قاده الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض في منطقة وادي مزاب .

المبحث الأول: أبعاد الإصلاح الاجتماعي في وادي مزاب عند الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض:

إن إدراك أهمية الإصلاح الاجتماعي يستوجب فهم الخطوات العملية حتى تتحول فكرة الإصلاح إلى واقع ، ومن خلال تتبعنا لإسهامات الشيخ بيوض في الجانب الاجتماعي يمكننا تحديد الأبعاد التي تحركت فيها حركته الإصلاحية لتحقيق أهدافها الاجتماعية من خلال النقاط التالية:

المطلب الأول: يرى الشيخ بيوض أن نهوض الأمم يرتكز على التربية والتعليم وتطوير المناهج وتحديث الوسائل، فلهذا نجده قد سعى إلى نشر المعرفة عموما و التركيز على الإصلاح الديني خصوصا بين مختلف فئات المجتمع فركز نشاطه في معهد الشباب وألقى دروسا في المسجد كما تنوعت نشاطاته في هيئات أخرى على غرار حلقة العزابة.

1) الجانب التعليمي والتربوي :

في هذا الصدد يقول الشيخ: «يجب أن نقضي على الجهل والأمية في الأمة ونسرع السير في طريق العلم لنصل الغاية البعيدة التي يوجبها علينا عصرنا»[1]، فبعد وفاة عمر بن يحيى[2]خلفه تلميذه بيوض في رئاسة الحركة العلمية والنهضة الإصلاحية في منطقة القرارة[3] فتولى تسيير المعهد أربع سنوات في دار شيخه ثم حول هذا القطب الثقافي إلى داره إلى غاية إنشاء معهد الشباب في 21 ماي 1925م الذي يعتبر امتدادا للمعهد السابق الذكر[4]، وكان يرى الشيخ بيوض أن التعليم هو المنطلق الأساسي لتحقيق النهضة، لأنه الحقل الذي يتم فيه إعداد الأجيال فكرا وسلوكا، فأراد من هذا الحقل أن يكون متطور المناهج،

[1]– محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة،ج3، عالم المعرفة، ط1، الجزائر،2013م، ص 18.
[2]– محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر (1921م، 1975م)، المصدر السابق،ج4، ص 141.
[3]– محمد بن قاسم ناصر بوحجام (2016م)، الشيخ بيوض والعمل السياسي، نشر جمعية التراث، ط 2، الجزائر، 2016م، ص 66.
[4]– إبراهيم بن عمر بيوض، المصدر السابق، ص 141.

حديث الوسائل والأساليب حيث يقول: "إننا حريصون في معاهدنا ومدارسنا على الدين وتعليمه كاملا، كما أنزله الله، ولكننا نريد الأساليب الحسنة في تعليمه"[1].

قامت منهجية التعليم في معهد الشيخ بيوض على أسس متينة، فالمواد التي تدرس تخدم اللغة العربية، وتهدف كلها إلى تكوين وتقوية طلاب العلم حتى يتسنى لهم فهم كتاب الله والتعمق في معانيه، فكانت هناك عناية فائقة بالأدب العربي وعلومه،فلهذا نجد معهد الحياة كما أصبح يسمى سنة 1954م قد اشترط حفظ القرآن على كل طالب يريد الالتحاق بعد استظهاره على إمام المسجد قبل البدء في العلوم المختلفة من فقه وأصوله والبلاغة والنحو والصرف وعلم التوحيد ودروس عمومية أخرى[2].

وهذا يدل على أن منهج الشيخ في التعليم والتربية ارتكز على محورين أساسيين وهما العربية والإسلام شعاره « الدين والخلق قبل الثقافة، ومصلحة الوطن قبل مصلحة الفرد »[3]، وقد أوكل ذلك إلى نخبة من الأساتذة الأكفاء أبرزهم محمد علي دبوز[4]وسعيد بن بلحاج الشريفي[5]الذي كان من رواد الحركة العلمية بالقرارة وعين فيما بعد مديرا على المعهد سالف الذكر، تخرج من المعهد رجال أشرفوا على وظائف بارزة في الحقل الاجتماعي والإداري والسياسي، فكان منهم القاضي و الوزير والإمام تحملوا المسؤولية كل في موقعه وفق التربية التي نشؤوا عليها في رحاب القرآن [6]، رغم الظروف الصعبة التي نشأ فيها المعهد إلا إلا أنه كان حصنا منيعا وقد وصفه الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني بقوله:«

---

[1]– محمد علي دبوز، المصدر السابق، ص 143.

[2]– سعيد بن بالحاج شريفي، معهد الحياة نشأته وتطوره ، تقديم صالح ناصر، ط2، نشر جمعية التراث، غرداية،2009م، ص ص 64، 63.

[3]– محمد صالح ناصر، المصدر السابق، ص115

[4]– محمد علي دبوز: ولد الشيخ في مدينة ابريان بتاريخ فبراير 1919م تعلم في مسقط رأسه ثم انتقل إلى معهد الحياة ليلتحق سنة 1934م بالبعثة العلمية في تونس، وفي سنة 1944م سافر إلى القاهرة ورابط بدار الكتب المصرية وكان يحضر الدروس مستمعا وهذه التجربة فتحت له آفاق علمية واسعة، وبعد رجوعه درس في معهد الحياة، وقام بتطوير برامج ومناهج الدراسة وأدخل مواد جديدة كعلم النفس والمنطق، له الكثير من المؤلفات نذكر منها"تاريخ المغرب الكبير" و"نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة" و"أعلام الإصلاح في الجزائر"، توفي الشيخ سنة 1981م ودفن في مسقط رأسه. أنظر: محمد صالح ناصر،المصدر السابق، ص159 وما بعدها.

[5]– عدون شريفي: ولد الشيخ في مدينة القرارة جنوب الجزائر سنة 1902م، تعلم مبادئ القراءة والكتابة في مسقط رأسه، عمل في التجارة، والتحق بالمدرسة الرسمية بسريانة، وعاد سنة 1915م إلى القرارة ودخل مدرسة الشيخ طرابلسي، في سنة 1920م التحق بحلقة إيروان، وفي نفس السنة التقى مع رفيق دربه الشيخ بيوض ولازمه وشاركه في إدارة معهد الحياة، له الكثير من المقالات في صحافة أبي اليقظان، توفي رحمه الله سنة 2004م بمسقط رأسه. أنظر: نفسه، ص298 وما بعدها.

[6]– إبراهيم بحاز وأخرون، المرجع السابق، ص22.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2022 المجلد: 05 العدد: 01 ص.ص: 216-235

معهد الحياة أحد حصون العربية في مغرب الوطن العربي، حمل لواء العربية لغة القرآن الكريم، ونازل الغزاة المستعمرين الذين حاولوا القضاء على هوية الشعب»[1].

وقد قام الشيخ بيوض بجهد كبير من أجل تطوير التعليم وإيجاد مواد ومقررات إضافية وصل عددها إلى ثلاثين مادة، فتولى التدريس بنفسه في بعض المواد، ولم يكن تلامذته من بلدة القرارة وحسب بل توافدوا من كل قصور وادي مزاب وأحوازها والقطر الجزائري عامة وحتى من خارجه، وعلى سبيل المثال لا الحصر تنزانيا وعمان[2]، وقد كان للشيخ الدور الفعال في إرسال البعثات العلمية إلى مختلف أمصار الثقافة ومراكز الإشعاع العلمي أهمها جامع الزيتونة، غايته في ذلك الانفتاح على المدارس العصرية، فكانت بكورة جهده البعثة البيوضية إلى تونس.

وإن كان الشيخ أبو اليقظان هو رائد البعثات العلمية الأولى من وادي مزاب إلى تونس ، فإن العهد الثاني للبعثات شُكل من أشبال زعيم الإصلاح الشيخ بيوض الذين أصبحوا شبابا ناضجين نالوا حظا وافرا من التكوين العلمي والتنشئة الاجتماعية واستكملوا بناء شخصيتهم على يدي شيخهم ، شقوا طريقهم نحو الجامعات التونسية تحدوا في ذلك الأوضاع السياسية العامة أثناء الحرب العالمية الثانية حينما ضيقت فرنسا الخناق على طلبة العلم ومنعتهم من السفر إلا بتراخيص، لما رأته فيهم من وطنية ووعي خاصة للمتخرجين من المدارس التونسية، هذا ما دفع الكثير من طلبة الشيخ بيوض إلى رفع التحدي والسفر دون تراخيص سالكين الطرق الوعرة وفي ذلك مجازفة خطيرة على حياتهم[3]،

وقد وصل مجموعة من الطلبة مشكلين الدفعة الأولى للبعثة البيوضية بداية الأربعينيات والتحقوا بالدراسة في جامع الزيتونة ومعهد ابن خلدون والمدارس العصرية آنذاك والمكتبات العامرة وغيرها من مراكز التعليم المنتشرة في تونس.

لا أحد ينكر ما تلقاه الرعيل الأول من الحركة الإصلاحية في سبيل نصرة فكرة البعثات العلمية لأن ذلك يعتبر حقيقة نضالهم وجزءا من جهادهم، إذ أسفرت هذه التجربة الجديدة على وادي مزاب من أجل تكوين وإعداد الأجيال وتحضيرهم للمستقبل عن ردود فعل اجتماعية متباينة، وعن معارضة من المرجعيات الدينية والعلمية بالمنطقة التي كانت متحكمة في مجريات الأمور هناك[4] دعواهم في ذلك الخوف على

---

[1]– عيسى بن محمد، "معهد الحياة ثمانون عاما من العطاء (1343هـ/1925م–1426هـ/2005م)"، مجلة الحياة، العدد التاسع، نشر جمعية التراث، غرداية،2005م، ص261.

[2]– سعيد بن بالحاج شريفي، المصدر السابق، ص64، 65

[3]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار البصائر، الجزائر،2007م، ص 265.

[4]– قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر 1157هـ/1744م إلى 1382هـ/1962م، المطبعة العربية، ط1 غرداية،2011م، ص 589.

التلاميذ صغار السن المتجهين إلى تونس للتعلم وابتعادهم عن أسرهم قبل استيفاء حظهم من التربية والتكوين، ومخالطتهم لبيئات اجتماعية تختلف عن عوائد وتقاليد وادي مزاب مما يؤثر سلبا على طباعهم أخلاقهم، كما أن المعارضين لهذه الفكرة اتهموا المشرفين على البعثات العلمية بتحويل هذه المهمة إلى مورد لجمع الأموال، ومن الأفكار التي أنكرها عليه خصومه وخاصة النخبة المحافظة قضية دعوته إلى تعليم العلوم الحديثة واستعمال الأساليب العصرية في التربية والتعليم وتعلم اللغة الفرنسية[1].

يبدو أن البعثات قد تأثرت بهذه الحملة الشعواء الشرسة خاصة وأنها انطلقت من منابر المساجد المسموعة في أوساط العوام الذين يضعون ثقتهم في عزابتهم ويرون فيهم القدوة والمثال الأعلى الذي ينبغي أن يتبع ويطاع ، وأمام هذا التحامل في حق القائمين على البعثات العلمية جعلهم يدافعون عن أنفسهم وعن أعراضهم وعن مشروعهم الذي أصبح يهتز لهذه الحملة، فكان أول رد فعل من الشاب الطامح المبادر أبي اليقظان، ولعل هذه المواقف كان يقودها مجموعة من الشباب مروا على معهد الحياة نهلوا من فكر التجديد على يد زعيمهم الشيخ بيوض، فكانت البعثة العلمية مسيرة حضارية حافلة وزاخرة في مشروعهم الإصلاحي التربوي، وفي حقيقة الأمر أن المجتمع الإباضي استفاد كثيرا من هذا الصراع وتنبهوا إلى ضرورة الاهتمام بالعلم والعناية بأبنائهم ليحصلوا على المعارف والعلوم، كما أن المجتمع تفطن إلى المدارس العصرية خاصة في تونس لقرب المنطقة من مزاب وكون ظروفها أحسن مقارنة بالجزائر، فكانت ثمرة هذا النزاع بين الطرفين تبلور فكر إصلاحي وبروز قيادة تحولت مع الوقت إلى تيار له خصائصه وفلسفته وأهدافه.

2) النشاط المسجدي:

لما أدرك الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض أن الإصلاح التعليمي لا ينجح إلا بإحداث إصلاح اجتماعي شامل وقد لمسنا ذلك من قوله: "لم يكن عملي خاصا بميدان العلم ، ولكن يتناول جميع نواحي الأمة ، ووظيفتي غسل العار عن الأمة ، وتطهيرها من أدناسها بشباب مثقف بالثقافة الصحيحة ، أكفاء لكل ما يسند إليهم "[2].

فقد كان يريد الشيخ تحقيق جملة من الأهداف في إطار الإصلاح الاجتماعي أهمها حماية الفرد من الانحلال الخلقي حتى تصبح هذه الحركة قادرة على كسب كل فئات الأمة من أجل البناء والإصلاح، فنجده قد ركز على المساجد التي وضعت للعبادة والتوجيه والإرشاد، وتعتبر قمة الهياكل الاجتماعية القائمة ومراكز إشعاع ومنارات مراقبة ويقظة مستمرة على المجتمع، وقد اختار مؤسسو قرى مزاب عند إنشائها البدء ببناء

[1]- محمد لعساكر، "جهاد الإمام الشيخ بيوض بين الإنصاف والإجحاف"، ملتقى الأول لفكر الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، 13-14 أفريل، جمعية الحياة، غرداية،2000م، ص52.

[2]- محمد علي دبوز (2013م)، المصدر السابق، ص106.

المسجد واختاروا له أعلى مكان وأرفع نقطة في القرية وهذا له مدلوله المعنوي لكونه أعلى المرافق في البنية الاجتماعية التي تنظم حياة المجتمع ، فقد كان يشرف على الجنائز وحفلات الأعراس وجميع الولائم، وتعليم الأطفال القرآن الكريم في المحاضر والمعمرات التي بنيت حول المسجد ، وشرعوا له مجموعة من الأعراف والتقاليد والأخلاقيات التي تعطي هذا الصرح مكانته الخاصة بين المرافق العامة لما يقدمه من أعمال ومهام للمجتمع.

فالمساجد في وادي مزاب ليست بيوت عبادة فقط، بل هي مراكز إشعاع ومنارات هداية ومصدر مراقبة اجتماعية، فحلقة عزابة والهيئات الثلاثة المنضوية تحت إشرافه وهي هيئة إروان وإمصوردان وتمسردين أو الغسالات تشكل ما نسميه المسجد فكان من بين أهم الأطر التي ركز الشيخ فيها نشاطه باعتباره المؤسسة الوحيدة التي تلتقي فيها جميع شرائح المجتمع، فقد اهتم بأحوال الأسرة لكونها اللبينة الأساسية في بناء المجتمع ، فخصص حيزا كبيرا من دروسه المسجدية للحقوق والواجبات، واهتم بدور الفرد في المجتمع موضحا التفاعل الكبير بينهما بقوله: "على الإنسان أن يعرف أنه مربوط بالمجتمع ينفعه ما ينفع المجتمع، ويضره ما يضر المجتمع"[1]. ففي سنة 1931م افتتح درس الحديث الشريف عن « فتح الباب، شرح صحيح البخاري » لابن حجر العسقلاني، وقد ختتمه بحفل علمي بهيج سنة 1945م، وقبل هذا قد فتح درس« شرح مسند الإمام الربيع بن حبيب » للإمام نور الدين السالمي وهو معتمد الحديث عند الإباضية، وأقدم في سنة 1953م على افتتاح درس تفسير القرآن الكريم، وقد اختتمه سنة 1980م وأقيم له مهرجان عظيم شهدته مختلف السلطات الإدارية والسياسية[2].

3) نشاطه في مجلس العزابة[3]:

إن السلطة في المجتمع المزابي كانت أول الأمر بين أيدي رؤساء العشائر، ثم تحول مركز السلطة في القرية المزابية إلى الهيئة الدينية الممثلة في حلقة العزابة ، إلا أننا لا نعرف بالتحديد متى رشح المجتمع هذه الهيئة لتولي هذه السلطة المتعددة الجوانب ، أما الذي نتيقن منه فإن الحلقة التي رتبها الشيخ أبو عبد

---

[1]– إبراهيم بن عمر بيوض، المجتمع المسجدي، إعداد: محمد ناصر بوحجام، المطبعة العربية، غرداية،1989م، ص 40.

[2]– إبراهيم بحاز وآخرون، المرجع السابق، ص20.

[3]– نظام العزابة: العزابة اسم لهيئة محدودة العدد يتراوح بين عشرة أعضاء وستة عشر عضوا، تمثل خيرة أهلي البلد علما وصلاحا ، تشرف على شؤون المجتمع الإباضي، تختار هذه الهيئة من بين أعضائها شيخا يسمى (شيخ العزابة) يكون أعلمهم وأكثرهم كفاءة ولا يشترط فيه أن يكون أكبرهم سنا، يرجع الفضل في تأسيسها إلى الشيخ محمد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف سنة 413هـ/ 1022م. ينظر: علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مراجعة الحاج سليمان بن الحاج إبراهيم بايزيز، الحلقة الأولى، ط3، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2008م، ص ص 79، 80.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2022 المجلد: 05 العدد: 01 ص.ص: 216-235

الله محمد بن بكر[1]لم تكن لها أية سلطة على المجتمع، ولم يكن هدفها إخضاع المجتمع الإباضي، إنما الحلقة كان هدفها تربويا تعليميا في بادئ الأمر وهذا ما يذكره الشيخ علي يحي معمر: "اعتنى أبو عبد الله عناية خاصة بقضية التربية والتعليم، ومما يتضمنه ذلك المنهاج توحيد زي الطلبة، وتوحيد زي المدرسين"[2].

يبدو أن حلقة العزابة لم تبق على ما سطره الإمام أبو عبد الله وإنما تطور نظامها فكانت تضاف إليها من حين إلى آخر تنظيمات جديدة وصلاحيات جديدة حتى تحولت هذه الهيئة إلى أعلى سلطة في المجتمع المزابي ، لا يلتحق بها إلا الشيوخ وأعيان وزعماء المجتمع ، ففي سنة 1922م اختير الشيخ بيوض للالتحاق بحلقة العزابة وهو ما زال شابا ، ولم تمض إلا سنتان على دخولها حتى عين شيخا فيها يتولى مهمة الوعظ والإرشاد في منبر المسجد فبهر الناس بفصاحته وعلمه وجرأته الكبيرة في الصدع بالحق واندفاعه في محاربة الخرافات والبدع وذكائه في التعامل مع المشاكل الاجتماعية والسياسية، وامتد شعاع علمه وبيانه من محيط القرارة ليشمل بعد سنوات قليلة وادي مزاب كله، ففي سنة 1939م ونظرا لأياديه البيضاء ودوره الريادي في الإصلاح أسندت إليه رئاسة الحلقة[3]، وحاول إصلاح هذه المنظومة رغم ما تلقاه من معارضة وصلت إلى محاولة الاغتيال، ومن جملة الإصلاحات التي أدخلها الشيخ بيوض هو تحويل طريقة اتخاذ القرار في هذا المجلس، فبعدما كان منحصرا في الأعضاء الأربعة الأوائل أصبح شوريا مما يجعل حلقة العزابة أكثر تفتحا للآراء الجديدة مما كانت عليه سابقا ، واستطاع بذلك أن يقف في وجه الجمود الفكري ويبعث هذا المجلس الحيوي بروح جديدة[4]، ويفتح الأبواب أمام العقول للتفكير في القضايا المطروحة للنقاش لدى المجلس، مما يجعل قراراته أقرب للصواب حيث قال الشيخ:«لقد أردنا أن نجمد وأن نكون من الجامدين، لكن الوقت يتطور ونحن علينا أن نتطور بالضرورة»[5].

المطلب الثاني- أدواره في هيئات اجتماعية الأخرى:

لما أدرك الشيخ أن الإصلاح الاجتماعي لا يمكن أن يكون شاملا إلا إذا قام على أساس التحرك في جميع الهيئات الاجتماعية المزابية التي تشرف على تنظيمه وضبط شؤونه كمجلس العشيرة الذي كان مقصده

---

[1]- محمد بن بكير بن أبي بكر بن يوسف الفرسطائي النفوسي أبو عبد الله: أحد أقطاب الإباضية في المغرب الإسلامي، ولد بجبل نفوسة في ليبيا، ولم تحدد كتب السير تاريخ ميلاده فجعله الأستاذ الجعبيري في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري، كان له الفضل في تأسيس نظام العزابة وضع قواعده ومع مرور الزمن أصبح هذا النظام بمثابة الإمام في جميع الأمور والأحكام، أجمعت المصادر على أن وفاة الشيخ كانت سنة 440هـ/ 1049م. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، المرجع السابق، ص 368.

[2]- يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، ط4، المطبعة العربية، الجزائر، 2017، ص 29.

[3]- محمد صالح ناصر، الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما ، ط4 ،دار ناصر للنشر و التوزيع ، الجزائر،2017م ، ص 23.

[4]- نفسه،ص26

[5]- نورالدين سكحال، منهج الإصلاح ومجالاته بين عبد الحميد بن باديس وإبراهيم بيوض، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر،2007م-2008م، ص426.

الحفاظ على الروابط الأسرية ومتابعة أحوال وقضايا العشائر على اختلاف أنواعها[1]، حيث ينفي الشيخ بيوض أن يكون بإمكان مؤسسات الدولة الحديثة أن تصبح بديلا لهذا المجلس فيقول "هل يعقل أن نعوض هذا النظام، ونقول للناس قطعوا أرحامكم واستغنوا عن رهطكم وقبيلكم، لأن لكم من المؤسسات العامة بديلا عنها يراعي مصلحتكم يضمن حقوقكم؟؟"[2].

أعاد الشخ بيوض إحياء مجلس عمي السعيد[3]، وهي الهيئة المشرفة على وادي مزاب، وكان هذا سنة 1963م فعين على رئاسته وتحمل مسؤولية إدارتها والنظر في المسائل الدينية والفقهية وحل المشاكل التي ترفع إلى هذا المجلس وإصلاح ذات البين، وقد كان المجلس بمثابة منبر للشيخ بيوض ينشر من خلاله أفكاره الإصلاحية والنهوض بالمجتمع[4].

كما أن للشيخ بيوض اهتمام خاص بجمعية الشباب(1926م) التي تدعى بالمزابية "إمصوردان" ، والتي احتضنت نشاطات الطلبة ليبرزوا مواهبهم الأدبية والفنية إذ يقول الشيخ عدون: « كان لهذه الجمعية أثر كبير في سير المعهد وتقدمه، بل هي الروح المسير، والدماغ المفكر، وكان لها نشاط أدبي واجتماعي في جميع المجالات »[5] ، ولما كانت جمعية تتكفل بتأطير الشباب في المجتمع المزابي يدخلها كل شاب بعد الزواج من مهامها التناوب على الحراسة المدينة ومراقبة الجو الأخلاقي فيها، ولهذا كانت هذه الهيئة محل نقد من المعارضين لكونها تشبه الهيئة البوليسية وهو في نظرهم تجاوز لهيئات الدولة فسدا لهذه الثغرة اتفق المصلحون مع إدارة الأمن الوطني لجعل صيغة ترسيم لهذه الجمعية[6].

ولما كان تفكير الشيخ جله منصب على حماية المجتمع دعا إلى الاستفادة من الأشكال التنظيمية الحديثة المتمثلة في الجمعيات الثقافية والاجتماعية كجمعية الإصلاح بغرداية(1928م)، وجمعية الحياة بالقرارة(1937م) وجمعية النهضة بالعطف(1945م) وغيرها كثير، هذه الأطر والهيئات و المؤسسات تعتبر آليات ووسائل لتحقيق مشروع النهضة وزرع أفكار الإصلاح لدى فئات المجتمع وإحداث حركية اجتماعية وأثر في نفوسهم، فالشيخ أولى هذه الهيئات أهمية بالغة من أجل نهضة شاملة، فكان لها الدور الإيجابي

---

[1]– محمد علي ديوز، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة ، المصدر السابق ، ص 234 .

[2]– محمد سعيد كعباش، حديث الشيخ الإمام ردا على بعض الشبهات والأوهام، ج1، جمعية النهضة، غرداية،1996م، ص 62.

[3]– عمي السعيد: هو سعيد بن علي يحي بن يدر سليمان بن عثمان الجربي الخيري (أبو صالح) توفى سنة 898هـ الموافق لجانفي 1492م، ولد في قرية أجيم بجزيرة جربة بتونس وبها أخذ العلم عن أبي النجاه يونس بن سعد بن يحي ابن تعاريت الصفياني الجربي، قدم إلى وادي مزاب سنة 854هـ/1450م لإحياء العلم رفقة عالمين آخرين يطلب من أعيان المدينة. ينظر: إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 402.

[4]– محمد صالح ناصر، المصدر السابق، ص55.

[5]– سعيد بن بالحاج شريفي، المصدر السابق، ص ص77،78.

[6]– إبراهيم بن عمر بيوض، أعمالي في الثورة ، المصدر السابق ، ص 81.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2022 المجلد: 05 العدد: 01 ص.ص: 216-235

عنوان المقال: جبهات النضال الوطني للشيخ إبراهيم بن عمر بيوض

المؤثر في الإصلاح وتحقيق أهدافه، فوصف الشيخ هذه المؤسسات بقوله « اعتنت هذه الجمعيات بكل ما قام به سلفهم المصلحون؛ فأنشأت المدارس العربية العصرية الواسعة الجميلة...والنوادي الأدبية الاجتماعية، والمكاتب العامة الحافلة، والمعاهد الثانوية للعلوم العربية والدين، وأرسلت البعثات العلمية الكثيرة إلى تونس...وقامت هذه الجمعيات المباركة بالإصلاح الاجتماعي فحاربت التعصب وكل أنواع الفساد الخلقي...وكانت هذه الجمعيات أقوى عضد للعزابة في كل أعمالهم »[1].

المبحث الثاني : البعد الوطني عند الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض:

شارك الشيخ بيوض في الدفاع عن القضايا التي تخص مدينة القرارة منذ أن كان شابا وتحولت هذه الاهتمامات إلى الصعيد الوطني ويعود الفضل في ذلك إلى المطالعة الواسعة التي جعلته يتأثر برواد الإصلاح و النهضة الفكرية في الوطن العربي والتي كان لها رسوخ القدم في مشروعها وسجلت أسماءها في التاريخ بنضالها الخالد ، كما أن إطلاعه على ما يكتبه رجال الإصلاح سواء في وادي مزاب أو خارجها صنع منه شخصية قوية لا ترضى الرضوخ والهوان فدخل في صراع طويل مع المحتل الفرنسي دفاعا عن أفكاره وأمته وحركته الإصلاحية ومبادئها والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

المطلب الأول:الجانب السياسي

إن الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض أدرك ووعى الأفكار التي صاغها عبد الرحمن الكواكبي في كتابه "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" الذي بين سبل الخلاص من الظلم والقهر ، كما أن الصحف و المجلات كانت بمثابة النافذة على العالم الخارجي فقد تعرف من خلالها على ما يجري في الوطن العربي من تطورات وبوادر نهضة الشعوب الإسلامية ومناهضتها للاستبداد مما ساهم في تكوينه السياسي وهو ما زال شابا، ولعل الفضل أيضا في تكوينه يعود إلى أستاذه في السياسة الحاج بكير العنق (1868م-1934م) أسد القرارة كما كان يلقب، كل هذه العوامل أكسبته حنكة وخبرة سياسية تجسدت أدوارها في عدة اتجاهات:

1) دوره في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931م-1954م):

تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء 07 ذي الحجة 1343 هـ الموفق لـ 05 ماي 1931م بنادي الترقي، بمدينة الجزائر إثر دعوة وجهت إلى كل علماء الجزائر، فلبى أكثر من سبعين عالما من مختلف جهات الوطن ومن مختلف الاتجاهات الدينية والمذهبية وانتخب مجلسها الإداري المكون من 13 عضوا برئاسة عبد الحميد بن باديس ونائبه البشير الإبراهيمي،

[1]- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ص ص230،231.

ليشغل إبراهيم بيوض منصب نائب أمين المال وبهذا تحصلت الجمعية على الاعتماد من الإدارة الفرنسية بسبب برنامجها غير السياسي[1].

إلا أنه في سنة 1932 بدأت تظهر المواقف السياسية للجمعية من خلال مقاطعة السلع اليهودية ورفض فكرة إعطاء الجنسية الجماعية للجزائريين كما ارتكزت سياسة العلماء على المناداة بتحقيق العدالة الاجتماعية والدفاع عن الجنسية الجزائرية وإنشاء المدارس[2]، ولكن في سنة 1933م زاد النزاع بين أعضاء الجمعية والإدارة الفرنسية بسبب منشور ميشيل michel في 16-02-1933م الذي منع من خلاله أعضاء الجمعية من مزاولة أي نشاط، ومن هنا تركت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الحرية لأعضائها للخوض في المسائل السياسة بصفة شخصية لا باسم الجمعية، ولعل أبرزهم الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض الذي قام بالمشاركة في تأسيس النواة الأولى للجمعية وصياغة قانونها الأساسي ومن بين أهم أعضاء إدارتها، وكذا يعتبر بيوض من أهم مساعدي ابن باديس المقربين، كما أن الشيخ لم يقتصر نشاطه في مدينة القرارة وحسب، بل تجاوزه إلى القطر الجزائري، فكانت إستراتيجيته واضحة لإحياء اللغة العربية والوقوف في وجه المخطط الاستعماري الرامي إلى ضرب مقومات الأمة.

2) مشاركة الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض في المؤتمر الإسلامي (1936م-1937م):

دعا الشيخ عبد الحميد بن باديس أعضاء مكتب الجمعية إلى اجتماع عاجل وكان ذلك في أواخر سنة 1935م لمناقشة الأوضاع المتدهورة للجزائر والإسراع لإيجاد حل يقضي على التشتت السياسي الراهن وكان المخرج الأكثر وضوحا يتمثل في عقد مؤتمر إسلامي جزائري يوحد الصفوف ويجمع الشمل[3] وفي عام 1936م طرحت الفكرة على أعيان السياسة في الجزائر والوجهاء والعلماء وأعضاء الحزب الشيوعي الذي تأسس حديثا في الجزائر، وباختصار فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد تحولت إلى حزب سياسي وهدفها من ذلك خلق جبهة عربية إسلامية قادرة على منافسة الجبهة الشعبية في فرنسا وهكذا يوم 07 جوان 1936م اتفقت كل الأطياف السياسية العاملة في الجزائر وتحولت فكرة المؤتمر الإسلامي إلى واقع وكان بن جلول رئيساً له والأمين العمودي نائب الرئيس وبلحاج أمينا عاماً و خرج المؤتمرون ببرنامج سياسي موحد واستطاع كل اتجاه إدراج النقاط التي يراها أساسية وجزء من برنامجه السياسي وقد طالبوا جميعا بما يلي:

- ✓ إلغاء القوانين الاستثنائية.
- ✓ المحافظة على الشخصية الإسلامية وتطبيق القانون الإسلامي.

---

[1]- عمار بوحوش، التاريخ السياسي من البداية إلى غاية 1962، دار المغرب الإسلامي، ط1، بيروت،1997م، ص 251.

[2]- نفسه، ص 252.

[3]- محمد بن قاسم ناصر بوحجام، المرجع السابق، ص 68.

- ✓ فصل الدين عن الدولة.
- ✓ إلغاء كل القوانين التي اتخذت ضد اللغة العربية.
- ✓ الحرية التامة في تعليم اللغة العربية وحرية التعبير والصحافة.
- ✓ إلغاء قانون الأنديجينا.
- ✓ إعلان العفو السياسي[1].

وتظهر فاعلية الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض وجديته في تحقيق المطالب من خلال المؤتمر الثاني المنعقد يوم 11 جويلية 1937م وذلك قصد المحافظة على وحدة الصف وزيادة الضغط الأوربي على رئيس الحكومة الفرنسي كما اتفق الشيخ إبراهيم وبن يوسف بن خدة وبن جلول على تقديم استقالات جماعية إن لم توافق الحكومة الفرنسية على مشروع بلوم فيوليت، ورغم أن هذه المحاولات لم تأت أكلها، إلا أن الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض وأعضاء الجمعية لعبوا دورا بارزا في بلورة الفكر الإصلاحي والمطالبة بالحقوق والدفاع عن الحريات وهذا ما كلف الشيخ إبراهيم سنة 1940م عقوبة الإقامة الجبرية لمدة أربع سنوات في مدينة القرارة لا يغادرها، استغلها الشيخ في التدريس والتأليف فأنهى خلالها شرح صحيح البخاري سنة 1945م[2].

3) عضوية الشيخ بيوض في المجلس الجزائري (1948م – 1954م)

قرر الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض دخول المعترك السياسي بعد انتهاء مدة الإقامة الجبرية سنة 1948م مناهضا بذلك مشروع القانون الخاص 20 سبتمبر 1947م والذي ينص في مادته الخمسين على إزالة الحكم العسكري من الصحراء وضمها إلى الشمال وتبقي على نظام الانتخابات في يد رؤساء العشائر أي بيد الأعيان[3]،فرأى الشيخ إبراهيم أن الدفاع عن الوطن والتصدي لسياسة الاستعمار تقتضي التوغل إلى أعماق الإدارة الفرنسية والاحتكاك بالسلطة وذلك من خلال العضوية في المجلس الجزائري، ولما ظهرت مسألة الانتخاب انقسم حولها المزابيون إلى فريقين، الفريق الأول يريد المشاركة ويرى فيها المنافع الكثيرة للوطن والفريق الثاني يرفض المشاركة ويرى فيها القضاء على الشخصية المزابية[4]، ورغم ذلك فإن الانتخابات جرت بثلاثة مترشحين فاز إبراهيم بن عمر بيوض بنسبة 52% ويليه مفدي زكريا وعيسى بن

[1]– عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 260.
[2]– نفسه ، ص ص 262–263.
[3]– إبراهيم بن عمر بيوض، المصدر السابق، ص 15.
[4]– يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 210.

عمر[1]، ولعل هذا النجاح دليل قاطع على موقف الشيخ المدافع عن المؤسسات العربية الإسلامية في الجزائر وكذا القضايا الوطنية في مقدمتها قضية فصل الصحراء عن الشمال[2]، بما في ذلك محاربة بعض أنماط الاحتكار لفائدة الشركات الفرنسية فيما تعلق بالثروات الوطنية الباطنية كما أن وجوده في المجلس الجزائري كان انتصارا للتعليم العربي الإسلامي، استمر نشاط إبراهيم بن عمر بيوض في المجلس الجزائري وأعيد انتخابه سنة1951م ، خلال هذه الفترة كان الشيخ من مؤيدي الثورة تطلب منه الاستقالة من منصبه على غرار الكثير من النواب الجزائريين للانضمام إلى العمل الثوري [3].

المطلب الثاني:الجانب الثوري

يعالج هذا المطلب مجهودات الشيخ بيوض في ثورة التحرير انطلاقا من الدعاية واقناع شباب المنطقة بمشروعيتها، وموقفه من قضية حساسة وهي فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال وقد كان له نضال مرير فى هذا الإتجاه بإعتباره ابن الصحراء، وقد اتضح هذا الجهاد بغطائه عربي إسلامي من خلال أرائه من بعض القضايا وخاصة القضية الفلسطينية.

1)جهود الشيخ بيوض في الدعاية لصالح الثورة :

أولى الشيخ بيوض عناية خاصة بفئة الشباب باعتبارها ثروة الأمة وعماد الحضارة وكان يرى في تربية النشء سبيلا لتحقيق الأهداف والغايات خاصة إذا كان هذا التكوين والتربية مقصده غرس الروح الوطنية في النفوس، فكان الشيخ العالم العامل المشرف العام على العمل الثوري في منطقة مزاب فنظم الشباب في حركة الثوار، وكانت له اتصالات سرية مع قادة الثورة أمثال سي الحواس وأحمد الخبزي فأمدهم بالسلاح والذخيرة والمؤن وفي نفس السنة التقى مع بن يوسف بن خدة حينما كانت جبهة التحرير تدعو إلى الوحدة الوطنية وجمع كل فئات المجتمع لصالح الثورة، واعترافا بمجهوداته يقول عبد الله بن طوبال: «إنه كان وطنيا منذ بداية حياته، لقد كان يكافح دوماً من أجل وحدة التراب الوطني، ومن أجل استقلاله من الثلاثينات، لقد كان وطنيا مسالماً، يعتقد الوصول إلى الغاية عن طريق الوسائل الدبلوماسية، وما أن اندلعت الثورة التحريرية في نوفمبر 1954م حتى التحق بصفوفنا، وبقي إلى جانب جبهة التحرير حتى اليوم

[1]– محمد سليمان أبو العلا، صفحات عن الكفاح الخاص بالشيخ بيوض والاستعمار الفرنسي في الجزائر، جمعية التراث، ط1، الجزائر،2012م، ص73.

[2]– حمو محمد عيسى الشيهاني، الفكر العقدي عند الشيخ بيوض وأثره في الإصلاح، تقديم، محمد قاسم بوحجام، جمعية التراث، ط1، الجزائر،2009م، ص34.

[3]– نفسه، ص 47.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2022 المجلد: 05 العدد: 01 ص.ص: 216-235

عنوان المقال: جبهات النضال الوطني للشيخ إبراهيم بن عمر بيوض

الأخير»[1]، أضف إلى ذلك انتخابه عضوا في المجلس العمالي للواحات سنة 1959م وكان عضو في الهيئة التنفيذية المؤقتة أوكلت له مسؤولية قسم التربية والشؤون الثقافية في 19 أفريل 1962م[2]، إلا أن مرحلة الثورة المباركة من حياة الشيخ بيوض مازالت بحاجة إلى البحث الموضوعي النزيه من أهل الاختصاص لإزالة الغموض عن الكثير من الحقائق، خاصة بعد الانتقادات التي تعرضت لها جمعية التراث لما تحملت مسؤولية إصدار كتاب" أعمالي في الثورة" لصاحبه الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، وكشف الأسباب الحقيقية لنزع صفة الجهاد عن الشيخ.

2)موقفه من قضية فصل الصحراء:

إن موقف الشيخ بيوض كان صارماً في قضية فصل الصحراء ولم يكن هذا الموقف وليد فترة الثورة التحريرية بل منذ سنة 1944م حين قدم لائحة مطالب نيابة عن الأمة المزابية، واستمر على هذا النهج حين انتخب عضوا سنة 1948م في المجلس الجزائري فقد تمسك بموقف الصحراء الجزائرية وطالب في مناسبات عديدة بإلحاق مزاب والصحراء بالشمال، ولما تحرك الجنرال ديغول لإقناع الشخصيات الصحراوية بمشروعه، تحرك في الاتجاه المعاكس الشيخ بيوض واتصل بالشيخ التيجاني بالأغواط قائلا: «إن ديننا و كرامتنا ووطنيتنا لا تسمح لنا مطلقاً بأن ننفصل عن إخواننا الجزائريين في الشمال»، فاستطاع أن يقنعهم وقطعوا على أنفسهم عهدًا أن تكون كلمتهم موحدة[3]، فكان الشيخ بيوض سدًا منيعا أمام مشروع فصل الصحراء، وصدق حين قال لن نبيع جنوبنا بالمال.

فالملاحظ أن الإدارة الفرنسية لما أصدرت مرسوم 1957م القاضي بفصل الصحراء عن الجزائر الأم وإنشاء ما أطلق عليه اسم المنطقة المشتركة للمناطق الصحراوية التي فيها بعض البلدان الإفريقية الخاضعة للاستعمار الفرنسي كالنيجر وموريطانيا وتشاد والسودان الفرنسي (مالي) حاليا، سارع حكام فرنسا إلى بذل جام جهدهم لإغراء زعماء مزاب وعلى رأسهم إبراهيم بن عمر بيوض الذين قد أدركوا أن ما تبذله فرنسا من مساومة وإغراء لأهل الصحراء وتكلف في الاهتمام إنما مقصده ثروات وغنى الصحراء ، ولهذا اعتبر الشيخ هذه المحاولات بائسة وفي مهب الريح ، ورغم الضمانات التي قدمها ديغول للشيخ من أجل إنجاح هذا المشروع مقابل إنشاء دولة حرة في قلب الصحراء قاعدتها مزاب، فقد رد عليه إبراهيم بيوض بأن فصل الصحراء قضية الجميع ، وبذلك أسقط هذا المشروع .

---

[1]– حمو محمد عيسى النوري، نبذة من حياة الميزابيين الدينية والسياسية والعلمية من سنة 1505م إلى 1962م،ج1، دار البعث، قسنطينة،(دون تاريخ)، ص56.

[2]– المصدر نفسه، ص93

[3]–. الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، المصدر السابق، ص 48

فكر الاستعمار في استعمال وسيلة الضغط المالي خاصة على التجار الصحراويين في الشمال وتهديدهم بالإفلاس ، أما في الجنوب فقد عمدت الإدارة الفرنسية إلى قمع أكثر 1500 عامل في الشركات البترولية ونقلهم إلى المحتشدات في الشمال وتحركت الآلة الاستعمارية خارجيا مع دولة النيجر من أجل دعم قضية الجمهورية الصحراوية المستقلة، لكنها رفضت هذا الطرح[1]، وبهذا تأكدت الدول الإفريقية حديثة الاستقلال من حقيقة الاستعمار الماكر، هذا ما دفع زعماء مزاب وعلى رأسهم إبراهيم بيوض للعمل من أجل الاستقلال في كنف الجزائر الموحدة، في هذه الأثناء أيقن ديغول أن وجودهم في الجزائر أصبح له أيام معدودة فبادر إلى إصدار قرار 07 ديسمبر 1960م القاضي بفصل الصحراء فهي بالنسبة للحكومة الفرنسية مجال حيوي ذو أهمية اقتصادية وسياسية وعسكرية باعتبارها حقلا بيتروليا وميدان لتجاربها النووية ومركز اتصال مع المستعمرات الأخرى، فكان الفضل الكبير للشيخ بيوض في إنقاذ وحدة التراب وبقاء الصحراء جزائرية هذا بشهادة الكثير من الشخصيات التاريخية أمثال بن طوبال« لقد كان الشيخ بيوض عالما كبيرا وزعيما، ولكن دوره في البداية لم يكن بالنسبة إلينا ذا أهمية، لم يسئ إلى الثورة، وكان يؤدي دوره كأي مناضل عادي آخر، ولكن بعد ذلك أصبح طرفا مهما ومصيريا في الكفاح ضد الاستعمار، إذ أصبح عرصة في قضية المحاولة الفرنسية لفصل الصحراء عن بقية التراب الوطني »[2].

ومما سبق ذكره، يمكن أن نستشف منهج العلامة إبراهيم بن عمر بيوض الإصلاحي في فترة الاستعمار وطرق تعامله مع الإدارة الفرنسية من خلال إحدى وصاياه لكاتبه الشيخ حدبون صالح الموجودة في كتاب الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما ، نستخلص منها فهمه الجيد لمكر وخداع المستعمر وتعامله معه بالحكمة حتى تتوطد أركان إصلاحه الديني والتعليمي، وهذا نص وصيته: « إنه قد يوجد في بعض مراسلاتي وأحاديثي مع حكام العسكريين الفرنسيين في عهدهم بعض كلمات ظاهرها التملق والتزلق لهم ، وهي – علم الله – من اللسان فقط، أما القلب فمطمئن بالإيمان، يراد بها مدارتهم ودفع كيدهم وشرهم المستطير في تلك الظروف القاسية، حتى يغضوا الطرف عن تعليمنا ووعظنا وإرشادنا في المسجد والمدرسة وعن جميع مؤسساتنا الإصلاحية، وقد ربحنا –والحمد لله– بذلك كثيرا، وعملنا في الإصلاح كثيرا تحت ظل تلك الكلمات المعسولة، حتى توطدت أركان الإصلاح الديني والعلمي والاجتماعي، رغم تكالب أعدائه عليه من كل جهة، ولم نخسر بكلماتنا تلك شيئا مذكورا، ورأينا ذلك حكمة اقتضتها الظروف، فمن اطلع على شيء من ذلك فليحسن الظن بنا، وليتصور تلك الظروف حتى يفهم الحقيقة...»[3].

---

[1]– محمد صالح ناصر، المصدر السابق، ص 157.

[2]– نفسه، ص295.

[3]– نفسه، ص 5.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2022 المجلد: 05 العدد: 01 ص.ص: 216-235

عنوان المقال: جبهات النضال الوطني للشيخ إبراهيم بن عمر بيوض

3) النزعة القومية في نضاله:

شارك الشيخ بيوض مشاركة فعالة في القضايا الخارجية العربية الإسلامية وهذا إنما يدل على نزعته القومية في نضاله واستماتته في الدفاع عن المقومات العربية الإسلامية والشاهد على ذلك مقالاته في جريدة الأمة للشيخ أبي اليقظان حول الوحدة العربية ، ولما اطلع عليها الأمير شكيب أرسلان كتب قائلا: «نادرا ما وجدت في العرب كاتبا جمع بين قوة الحجة ومتانة اللغة هذا الجمع الآخذ لمجامع القلوب»[1].

فقد كان الشيخ مهتما بقضايا الأمة العربية والإسلامية وهذا نابع من تكوينه المحلي الخالص في الحلقات القرآنية على يد رجال الدين والعلم، فتوج هذا الاهتمام بعضويته في لجنة إغاثة فلسطين، وكان من بين الأربعة الممضين على برقيات التأييد باسم اللجنة الجزائرية الفلسطينية لقضية فلسطين في الجامعة العربية عام 1948م[2]، فقد اقتنع الشيخ بيوض أن جهوده الإصلاحية في وادي مزاب تصب في النهضة الإسلامية الشاملة، وأن نجاحها في إقامة المجتمع الإسلامي الأصيل والمعاصر في هذه البقعة النائية من الجزائر هو بناء صرح من الثقة لكون المسلمين قادرين على تحدي الأوضاع المحيطة بهم، وإقامة مجتمع إسلامي على أسس العلم والخلق والعمل.

خاتمة:

نستخلص مما سبق أن الشيخ بيوض تميزت أدواره الإصلاحية والسياسية بالتنوع والشمولية منذ الصغر، وأخذت أبعادا متباينة مست كل جوانب الحياة، فكان خبيرا في تناول قضايا عصره وهذا دليل على اتساع فكره الذي يتماشى مع كيفية النهوض بالأمة العربية الإسلامية الجزائرية، فكان الشيخ صادق الوطنية، رأى الحياة من منظور الكرامة والحرية، فكون جيلا في مدرسة الحياة خلقهم المسجد منفتحين على الهيئات الإصلاحية المدافعة على قضايا هويتهم، فتميزت سيرته بالعطاء والإصلاح لأمته في مختلف المجالات وفق دعائم دينية صحيحة حيث يقول: «نريد من الأمة أن تتمسك بدينها في كل شيء».

وإذا أردنا أن نعرف الإمام حق المعرفة فإننا نجد ذلك في تقليب صفحات حياته بعقل متفتح والوقوف عند مآثره ذات الصفة الحسنة، فيما أقامه من مؤسسات دينية وتربوية واجتماعية وما خلفه من تراث علمي وأدبي حافل ، نفهم من خلاله شخصية الشيخ وفلسفته في الحياة ومرتكزاته في الإصلاح وهذا ما وجدناه في رسالته إلى جيرانه في بريان حيث قال « ...وإني لأرسم لها الخطط وأضع التصاميم لمشاريع تشفي الأمة من آلامها وتقيلها من آمالها. ثم أنظر فإذا بي لا أملك لنفسي من وسائل تحقيقها قليلا ولا كثيرا، فأرتد عن العمل خاسئا حسيرا. ثم أنشط إليه من جديد وأعيد النظر فيه مرة بعد مرة، فأقدم وأؤخر، وأبدل وأغير، فإذا

[1]– محمد على دبوز، المصدر السابق، ص 114.

[2]– محمد صالح ناصر، المصدر السابق، ص 51.

الوسائل طوع يميني بيد أن الغاية لا ترضيني ». فكان عمله ونضاله منذ نعومة أظفاره لإعلاء كلمة الله وبث مبادئ الدين الصحيحة ومحاربة البدع والخرافات والظلم والاستبداد.

تميز الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض رحمه الله عن غيره بخصال عديدة رشحته ليكون في مصاف الزعماء الاجتماعيين والعلماء العاملين والقادة السياسيين لفترة من الزمن العسير في تاريخ الجزائر جعلت منه واعظا مرشدا وفقيها مجتهدا وزعيما قائدا وسياسيا رائدا ومعلما قديرا يشهد له بالكفاءة، كان صادق الوطنية تقاسم مع أبناء جلدته أيام العسر، قضى حياته في الدفاع عن مقومات أمته إلى أن توفي في بلدته التي لم يرض أن يغادرها ورضي أن يقاسم أبناء جلدته همومها سنة 1981م تاركا وراءه رجالا علماء مصلحين ساروا على نهجه في الإصلاح.

وخير ما نختم به ما قاله تلميذه محمد الأخضر السائحي في حقه:

المعهد الحرّ مازالت تراوحـــه	هذي الشجون وما انفكّت تغادينـا
وما تزال على أبوابه حلـــق	تشد حاضرنا في عمق ماضينـــــا
تحدّث الجيل عن ماض يشرّفه	ما كان لولاه في صف الملّجينـــا
كلّ المواضيع في أسفار نهضته	خطّت لها يد بيوض العناوينـــــا

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتب

1. إبراهيم بن ساسي، من أعلام الجنوب الجزائري، موجز للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2011م.
2. إبراهيم بن عمر بيوض، المجتمع المسجدي، إعداد: محمد ناصر بوحجام، المطبعة العربية، غرداية،1989م.
3. إبراهيم بن عمر بيوض ، أعمالي في الثورة، نشر جمعية التراث،ط1، الجزائر،1990م.
4. أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار البصائر،2007.
5. حمو محمد عيسى الشيهاني، الفكر العقدي عند الشيخ بيوض وأثره في الإصلاح، تقديم، محمد قاسم بوحجام، جمعية التراث، ط1، الجزائر،2009م.
6. حمو محمد عيسى النوري، نبذة من حياة الميزابيين الدينية والسياسية والعلمية من سنة 1505م إلى 1962م،ج1، دار البعث، قسنطينة، دون تاريخ.

7. سعيد بن بالحاج شريفي، معهد الحياة نشأته وتطوره ، تقديم صالح ناصر، ط2، نشر جمعية التراث، غرداية،2009م.
8. عمار بوحوش، التاريخ السياسي من البداية إلى غاية 1962، دار المغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997م.
9. قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر 1157ه/1744م إلى 1382ه/1962م، المطبعة العربية، ط1 غرداية، 2011م.
10. محمد بن قاسم ناصر بوحجام، الشيخ بيوض والعمل السياسي، نشر جمعية التراث، ط 2، الجزائر، 2016م.
11. محمد سعيد كعباش، حديث الشيخ الإمام ردا على بعض الشبهات والأوهام، ج1، جمعية النهضة، غرداية، 1996م.
12. محمد سليمان أبو العلا، صفحات عن الكفاح الخاص بالشيخ بيوض والاستعمار الفرنسي في الجزائر، جمعية التراث، ط1، الجزائر، 2012م.
13. محمد صالح ناصر، الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما ، ط4 ،دار ناصر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017م.
14. محمد على دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر (1921م-1975م)،ج1، عالم المعرفة، الجزائر،2013م.
15. محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة،ج3، عالم المعرفة، ط1، الجزائر،2013م.
16. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، ط4، المطبعة العربية، 2017م.

ثانيا: الرسائل والمذكرات

1. نورالدين سكحال، الشيخ إبراهيم بيوض ومنهجه في الإصلاح (1899م-1980م)، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر(1994م-1995م).
2. نورالدين سكحال، منهج الإصلاح ومجالاته بين عبد الحميد بن باديس وإبراهيم بيوض، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر(2007م-2008م).

ثالثا: المقالات

1. عيسى بن محمد، "معهد الحياة ثمانون عاما من العطاء (1343هـ/1925م-1426هـ/2005م)"، مجلة الحياة، العدد التاسع، نشر جمعية التراث، غرداية، 2005م.

رابعا: أشغال الملتقيات

1. محمد لعساكر، "جهاد الإمام الشيخ بيوض بين الإنصاف والإجحاف"، ملتقى الأول لفكر الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، 13-14 أفريل، جمعية الحياة، غرداية،2000م.